علماء البلاغة و الاستشهاد بالحديث النبوي بين الإغراق في التنظير وعوائق التنزيل

د.نور الدين لبصير
أستاذ محاضر أ
جامعة امحمد بوقرة بومرداس-الجزائر
labessir.nouraddine67@gmail.com

الملخص: تهدف الدراسة لمقاربة موقف علماء البلاغة من الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف في المدونات البلاغية ؛إذ يأخذ أبعاداً ابستيمولوجية،ومعرفية يتقاطع من خلالها الإشكال المنهجي الذي يؤصل لفصاحة النبي صلى الله عليه وسلم مع الإشكالات التطبيقية التي كانت عائقاً من عوائق الاستشهاد به ؛وانطلقاً من هذه الإشكالية تروم،وتطمح هذه الدراسة لمقاربة موقف علماء البلاغة من الحديث بين الإغراق في الجانب التنظري،وعوائق مآلته التطبيقية،ولما كان بينهما وشائج تكاملية،إذ لا يتصور تغييب العلاقة الجدلية،والتكاملية بينهما، لذا نطمح للانتقال بها من إشكالية التصور التنظيري،إلى رحابة التنزيل،والتفعيل التطبيقي.

الكلمات المتاحية: الاستشهاد؛ الحديث؛ التطبيق؛ التنظير؛ البلاغة؛الفصاحة؛النبي؛التكامل.

Résumé: L'étude vise à aborder l'attitude des érudits de la rhétorique en citant les hadiths du Prophète dans les livres de rhétorique, Prenant des dimensions épistémologiques qui recoupent le problème méthodologique enraciné dans l'intelligence du Prophète Avec les problèmes pratiques qui faisaient obstacle aux obstacles du citant; Et à partir de ce problème Trom, et cette étude aspire à approcher la position des érudits de la rhétorique du Hadith du ProphèteEntre le dumping en endoscopie, et les obstacles à l'application, Et parce qu'ils ont des liens complémentaires, puisqu'on n'imagine pas la relation dialectique, et la complémentarité entre eux, Nous aspirons donc à le déplacer du problème de la perception théorique à l'espace du l'application pratique.

Mots-clés: citation, théorique, l'application, Hadith prophétique, la rhétorique, l'éloquence;

مقدمة: الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، الحمد لله فاتحة كلّ خير،وتمام كلّ نعمة،أحمده سبحانه وتعالى حمدا طيّبا مباركا أحمده حمد الشاكرين، وأثني عليه بما هو أهله، والصلاة والسلام على معلم الناس الخير أفصح العرب لسانا،وأبينهم حُجّة،وأقومهم عبارة،وأرشدهم سبيلا،صلى الله عليه، وعلى آله

الطاهرين،وصحابته أجمعين، وكل من دعا بدعوته واقتفى أثره إلى يوم الدين،أما بعد: فليس بعد كلام الله أصدق ولا أنفع ،ولا أجمع لخير الدنيا والآخرة من كلام رسوله وخليله محمد صلّى الله عليه وسلم؛إذ هو أعلم الخلق،وأعظمهم نصحاً،وإرشاداً وهدايةً،وأبلغهم بياناً، وتفصيلاً،وأحسنهم تعليماً.وقد أوتي صلّى الله عليه وسلم جوامع الكلم،واختصر له الكلام اختصاراً،بحيث كان يتكلم بالكلام القليل لفظه،الكثيرة معانيه،ومع كمال الوضوح والبيان الذي هو أعلى رتب البيان.

وإذا كان القرآن الكريم قمة البلاغة ،وذروة البيان،فإنه مما لاشك فيه فإن السنة النبوية تأتي في المحل الثاني،ولا عجب في ذلك فمصدرهما واحد وكلاهما من الله.

لذلك أجمع علماء العربية على أن محمدا صلى الله عليه وسلم أفصح العرب قاطبة،وأنّ كلامه يأتي بعد كلام الله تعالى فصاحة وبلاغة وبياناً ،فرسول الله (صلى الله عليه وسلم)أفصح العرب.[1]

إشكالية البحث:كانت قضية الاستشهاد بالحديث في اللغة والنحو من أهم القضايا التي شغلت بال الدارسين،حتى ارتبطت هذه الإشكالية بالنحو،وقد أثير حولها جدل كبير،فهذه الدراسة تحاول تسليط الضوء على قضية الاحتجاج بالحديث النبوي في الدراسات اللغوية عموماً والدرس البلاغي خصوصاً،على الرّغم من أنه قد يبدو أن الأمر في غاية البداهة،لا يحتاج أن تثار حولها إشكالية مِنْ مُنطلَق أن كلامه صلى الله عليه وسلم أفصح وأبلغ وأجْمَع،وأنه أرقى من الشعر الذي جرى الإكثار من الاستشهاد به في الدرس البلاغي ،والنحوي على نطاق واسع دون أن يثير جدالاً كذاك الذي أثاره الاحتجاج بالحديث في الدراسات اللغوية؛فكان الحديث النبوي أولى بالتقديم و الاستشهاد والاستدلال به ،وكان السؤال لماذا تخلوا عنه في دراساتهم مع أنه أهم مصدر بعد القرآن ؟

ومع إحجام الأوائل ،أو إقلالهم من الاحتجاج بالحديث الشريف مع إقرارهم أن الحديث هو المصدر الثاني من أصول منهج الاحتجاج.ومع إجماع العلماء على أن محمدا أفصح العرب قاطبة،وأن كلامه يأتي بعد كلام الله عز وجل فصاحةً وبلاغةً وبياناً،كل ذلك يثير فضولنا،ويدفعنا للتساؤل هل علماء البلاغة اقتفوا أثر النحاة في التخلي عن الاستشهاد بالحديث؟

وقد أشار السلف إلى وجود غبن فيما يتصل بالاستشهاد بالحديث،فهل ينسحب هذا على علماء البلاغة؟ما هي الأسباب الحقيقية،التي دفعتهم لعدم الاحتجاج بالحديث. هل كان للفرق الإسلامية كالمعتزلة ومنهجهم تأثير على استشهادات البلاغيين؟هل كان لثنائية المعقول،والمنقول تأثير على استشهادات البلاغيين بالحديث؟أمام إشكالية عدم الاعتماد على الحديث كمصدر من أهم المصادر فإنّه يصبح مفتاح إجابتنا على هذه الإشكالية: ليس هل يجوز الاحتجاج بالحديث الشريف؟لأن الإجابة،بلا تحفظ ،ولا تردد.تكون نعم،لكن التساؤل يصبح لماذا احتج البلاغيون

[1] فتح الباري :ابن حجر 4/ 256، التيسير بشرح الجامع الصغير1/ 374،شرح مشكل الآثار15/ 33 نثر الدر: أبو سعد منصور بن الحسين الآبي24/1،قواطع الأدلة في الأصول: أبو المظفر السمعانى342/1، البيان والتبيين 17/2، والاقتراح 53، والخزانة 11/1، وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية 281–287.

بشواهد من الشعر، بعضها مصنوع،وبعضها لا يحمل معنى،وبعضها متهافت اللغة، وبعضها غير متماسك وبعضها مختلف الرواية،وبعضها مجهول القائل،من غير أن يعترض أحد على هذا،أمام هذا الجدل وفي خضم هذا كله جاءت هذه الدراسة إذ تحاول أن تبرز المكانة الحقيقة للحديث الشريف وتظهر الآثار السلبية التي ترتبت على إهمال علماء البلاغة لهذا المصدر؟وما هي الشبهات التي اعتمدوا عليها.

لأنّه في اعتقادي معرفة السبب يساعدنا على وضع العلاج.

ومع العناية العظيمة التي ظفر بها الحديث الشريف في مجال الرواية والتدوين،والحرص الشديد على نقله بألفاظه وحروفه، وهي عناية لم يظفر بها الشعر الذي استشهدوا به على نطاق واسع، فأظن أننا بذلك نكون قد تجاوزنا مسألة: هل يجوز الاحتجاج بالحديث الشريف أو لا يجوز.وهي مسألة لا ينبغي أن تكون محلاً للمناقشة،بل إن الاحتجاج بالحديث يمثل ضرورة لعلمي النحو ،والصرف ،والبلاغة ... لذلك ندعو إلى إعادة توظيف الحديث النبوي في الدرس البلاغي الحديث، ،والاستفادة من ثماره العظيمة في الدراسات.

أهمية هذه الدراسة:وقد انطلقت هذه الدراسة من مبدأ مفاده أنَّ مصدرية النص في التقعيد البلاغي تتوقف على ما يتمتع به ذلك النص من فصاحةٍ عاليةٍ،ولاشك أن ذلك قد اجتمع في الحديث النبوي باعتباره ثاني مصدر من مصادر تقعيد البلاغة،وإجماع العلماء على أن النبي صلى الله عليه وسلم أفصح العرب قاطبة،لذلك كان هذا العمل يستحق التقدير والاهتمام،فإن أولى ما يحتج به في أصول اللغة وتقرير العربية ووضع قواعد البلاغة،واستنباط أحكامها يجب أن يكون أفصح ما ورد فيها،وقد اجتمع ذالك كله في الحديث،لذلك تهدف هذه القراءة أيضاً إلى دعوة المشتغليين بالبلاغة المعاصرين إعطاء الحديث منزلة تليق به مقارنة ببقية المصادر الأخرى؛والغاية والقصد تجاوز بعض الأمثلة،و النماذج التي لعبت ولا تزال تلعب دوراً في تعسير تعلم قواعد البلاغة،وفي صيرورة القواعد البلاغية أنها ليس مجرد نظريات صماء،وأمثلة جوفاء لا تمت للواقع بصلة ومحاولة إعادة الاعتبار لهذا المصدر فلماذا قدَّمت عليها لغة قبائل البدو،والأشعار وغيرها...وتحاول الإجابة أيضا عن سؤال،ما مدى تأثير الحديث في الدرس البلاغي؟.

إذ تهدف هذه القراءة قبل ذلك إلى ربط متعلم القواعد بالقيم والأخلاق الواردة في الحديث وبعث القيم الأخلاقية والتربوية بدلاً من الأمثلة الافتراضية غير الواقعية ولا العملية.

المنهج المتبع:وكان منهجي في هذه الدراسة الاعتماد على جملة من المناهج من بينها:**المنهج الوصفي** باعتباره من بين أفضل المناهج وأنسبها لطبيعة الدراسة الحالية إذ يعتمد على دراسة الواقع أو الظاهرة كما توجد في الواقع ويهتم بوصفها وصفاً دقيقاً ويعبر عنها تعبيراً كيفياً أو تعبيراً كمياً فالتعبير الكيفي يصف لنا الظاهرة أما التعبير الكمي فيعطينا وصفاً رقمياً يوضح لنا مقدار هذه الظاهرة أو حجمها ودرجات ارتباطها بالظواهر المختلفة الأخرى،كما يمكن من خلاله الاستنتاج والاستنباط فالمنهج الوصفي لا يهدف إلى وصف الظواهر أو وصف الواقع كما هو بل إلى الوصول إلى استنتاجات تساهم في فهم هذا الواقع وتطويره.غير أني لم ألتزم به فقد وحدت نفسي ألجأ في هذه الدراسة إلى عدة مناهج أخرى من بينها:

الطريقة الاستنباطية التي من خلالها أبذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند تتبع هذه الشواهد من مصادرها المختلفة في محاولة قراءتها واستنباط ما مدى التزام البلاغيين بهذا المصدر؟.

كما اعتمدت على **المنهج الإحصائي**،حيث قمت بجمع الشواهد الحديثية من الكتب البلاغية متبعاً طريق الإحصاء،لأن المنهج الإحصائي،يعتبر من بين الإجراءات التي اعتمدت عليه،في المداخلة في جمع شواهد الحديث التي وظفها علماء البلاغة في الدرس البلاغي،وذلك ابتغاء استكشاف هذه الظاهرة حيث عمدت لحصرها إذ ستمكننا هذه الدراسة الإحصائية من معرفة مدى قلة أو كثرة الشواهد الحديثية ممَّا يجعل تساؤلنا مشروعا للبحث عن الأسباب التي أدت لقلة هذا المصدر في الكتب البلاغية،لأني أعتقد أنه لا يمكن استكشافَها إلاّ به.

و من بين المناهج الذي اعتمدت عليها في هذه الدراسة **المنهج الاستقرائي** حيث قمت بتتبع الشواهد البلاغية المتعلقة بالحديث من مصادرها الأصلية ومستخرجا لها من مظانّها.

بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم وفصاحته:فهو عليه الصلاة والسلام صاحب اللسان المبين والمنطق المستقيم،والحكمة البالغة والكلمة الصادقة ،والمعجزة الخالدة .

شهادة القرآن:قال الله تعالى : [وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ][1]

قَالَ الْحَلِيمِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:"وَهَذَا أَشْهَرُ وَأَظْهَرُ مِنْ أَنْ يحْتَاجُ إِلَى وَصْفِهِ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ عَلَى ذَلِكَ دَلَالَةً سِوَى أَنَّ اللهَ نَصَّبَهُ مَنْصِبَ الْبَيَانِ لِكِتَابِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: [وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ] لَكَانَ كَافِيًا فَإِنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ آتَاهُ الْبَيَانُ وَلَمْ يَرْقَ فِيهِ إِلَى أَعْلَى الدَّرَجَاتِ لَمَا رَضِيَهُ لِتَبْيِينِ كِتَابَهُ والَكَشَفَ عَنْ مَعَانِي خِطَابِهِ.[2]

ورسول الله صلى الله عليه وسلم أقامه الله تعالى في موضع البيان لكتاب الله عز وجل،وذلك إنما يناسب أعلى درجات البلاغة.ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه"يعني:السنة.[3]وكان كما قال الله تبارك وتعالى قل يا محمد:[وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِين]4;وقال جل ثناؤه في حق نبيه: [فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً] [5]أي: قل لهم كلاماً قوياً يبلغ شغاف قلوبهم لبلاغته وفصاحته. فهذه شهادة من الله لرسوله بأن كلامه بليغ.

وقال جل ثناؤه [كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ][6]

---

[1] سورة النحل الآية:44 .

[2]شعب الإيمان 3/ 32 .

[3]تفسير ابن كثير 1/ 7 .

[4]سورة النساء الآية:63.

[5]سورة النساء الآية:63.

[6]سورة البقرة الآية:151.

[وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا]1،فإذا كان الله عز وجل هو الذي علمه وأدبه،فلا بد أن يكون المتعلم على أكمل وأتم وأحسن ما يكون التعليم.

ولذلك لم تعرف لنبينا صلى الله عليه وسلم زلة،ولا حُفظت عنه هفوة.

وقد زكى الله تعالى نطقه فقال عز وجل:[مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَ] 2;وقال سبحانه:[نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ.عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ.بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ]3 .

شهادة الرسول نفسه:وقال صلى الله عليه وسلم عن نفسه:"وأوتيت جوامع الكلم" [4]،كما قال:"أنا أفصح العرب بيد أني من قريش واسترضعت في بني سعد"[5] ولم يكن هذا افتخارا منه صلى الله عليه وسلم ،وإنما كان تقريرا لحقيقة ثابتة ، وكيف لا يكون أفصح العرب وهو خاتم النبيين وسيد المرسلين ،وعلى قلبه نزل القرآن العظيم،وقد رباه رب العالمين،ونشأ وترعرع بين عرب فصحاء معربين.

شهادة الصحابة:لا شك أن الصحابة الذين وصفوا منطقه عليه الصلاة والسلام، شهدوا له– وهم سادات الفصحاء،ومن معدن البلاغة والأدب – من ذلك ما أخرجه النسائي والبيهقي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: "كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يسرد الكلام كسردكم هذا،كان كلامه فصلا يبينه حفظه كل من سمعه".[6]

شهادة العلماء: إن أكابر البلغاء أذعنوا للفصاحة النبوية،وجعلوها تاجا على رأس العربية،يشع نور لآلئها على أرجاء الكلام العربي كله.

أخرج البيهقي في شعب الإيمان فصلاً تحت عنوان:فَصْلٌ فِي بَيَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَصَاحَتِهِ.[7]

قال محمَّد بن سلام: قال يونس بن حبيب: "ما جاءنا عن أحدٍ من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم".[8]

سورة النساء الآية: 113.

[2] سورةالنجم3،الآية:3-4.

[3]سورةالشعراء،الآية: 193-195.

[4]مسند أحمد بن حنبل،2/ 314، صحيح مسلم 1/ 371 ،دلائل النبوة : البيهقي472 ، شرح السنة 198 ،المثل السائر للموصلي 2/ 392 ، جامع الأصول 8/ .531

[5]شرح السنة للبغوي 4/ 14البد ر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير 8/ 283، التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير :ابن حجر العسقلاني 4/ 202.

[6]الآداب:للبيهقي،ص: 128 ،عمل اليوم والليلة:للنسائي ،ص: 314،سنن النسائي الكبرى 6/ 109،معرفة السنن والآثار 4/ 372،تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف 252/12،عمل اليوم والليلة:النسائي ص: 314 .

[7] 3/ 32.

[8]البيان والتبيان 1 / 222، نثر الدر 5 / 172،مجمع الأمثال للنيسابوري 2 / 255،الروض الآنف: للسهيلي 7 / 275.

وقد تبارى العلماء والبلغاء في وصف فصاحته وبلاغته صلى الله عليه وسلم ومن أفضل ما قيل في ذلك ما سجله الجاحظ رائد البلاغة العربية وأستاذها؛إذ يقول في كتابه البيان والتبيين:"وأنا ذاكرٌ بعد هذا فَنّاً آخرَ من كلامه صلى الله عليه وسلم،وهو الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه،وجَلَّ عن الصَّنعة، ونُزِّه عن التكلف، وكان كما قال اللّه تبارك وتعالى: قل يا محمد:"وما أنا مِنَ المتَكلِّفين ،فكيف وقد عابَ التشديق،وجانب أصحاب التعقيب،واستعمل المبسوطَ في موضع البسط،والمقصورَ في موضع القصر،وهَجَرالغريبَ الوحشيَّ،ورغِبَ عن الهجين السُّوقيّ،فلم ينطِقْ إلا عن مِيراثِ حكمَةٍ،ولم يتكلَّم إلا بكلامٍ قد حُفَّ بالعصمة،وشُيِّد بالتأييد،ويُسِّرَ بالتوفيق،وهو الكلامُ الذي ألقَى اللّه عليه المحبّةَ،وغشَّاهُ بالقَبول،وجمع له بين المهابة والحلاوة،وبَيْن حُسنِ الإفهام،وقلّة عدد الكلام،مع استغنائه عن إعادته،وقِلّةِ حاجة السامع إلى معاوَدته، لم تسقط له كلمة،ولا زَلّت به قَدَم،ولا بارَتْ له حجَّة،ولم يَقُم له خَصم،ولا أفحمه خطيب،بل يبذُّ الخُطَبَ الطِّوال بالكلِم القِصار ولا يَلتمِس إسكاتَ الخصم إلا بما يعرفه الخصم،ولا يحتجُّ إلا بالصِّدق،ولا يطلب الفَلْج إلا بالحق،ولا يستعين بالخِلابة،

ولا يستعمل الموارَبة،ولا يهمِز ولا يَلْمِز،ولا يُبْطِيءُ ولا يَعْجَل،ولا يُسْهِب ولا يَحْصَر،ثم لم يَسْمع الناسُ بكلامٍ قَطّ أعمَّ نفعاً،ولا أقصَدَ لفظاً،ولا أعدلَ وزناً،ولا أجملَ مذهباً،ولا أكرَم مطلباً،ولا أحسنَ موقعاً،ولا أسهل مخرجاً،ولا أفصح معنًى،ولا أبين في فحوَى،من كلامه صلى الله عليه وسلم كثيراً.

وقال القاضي عياض:"وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الأفضل،والموضع الذى لا يجهل سلاسة طبع،وبراعة منزع،وإيجاز مقطع،ونصاعة لفظ، وجزالة قول، وصحة معان،وقلة تكلف .[1]

أوتى جوامع الكلم،وخص ببدائع الحكم،وعلم ألسنة العرب،فكان يخاطب كل أمة منها بلسانها، ويحاورها بلغتها،ويباريها في منزع بلاغتها،حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله،بل تخذوا كلام النبي صلى الله عليه وسلم معينا ثرا يمتحون منه في مكاتباتهم ومخاطباتهم.

وقال السيوطي :" أفصحُ الخَلْق على الإطلاقَ سيدُنا ومولانا رسول اللّه حبيب رب العالمين.[2]

وأفرد ابن الجوزي باباً في ذكر فصاحته صلى الله عليه وسلم".[3]

وقال الجرجاني:"ولم يشك أحد أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن منقوصاً فى الفصاحة، بل الذى أتت به الأخبار أنه صلى الله عليه وسلم كان أفصح العرب".[4]

قال أبو الفضل:"أفصحُ الخلقِ على الإطلاق سيِّدُنا ومولانا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم".[5]

---

[1] الشفا بتعريف حقوق المصطفى 1/ 56 – 57 .

[2] المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي 1/ 165

[3] الوفا بتعريف فضائل المصطفى 1/ 325

[4] دلائل الإعجاز ،ص613

[5] تاج لعروس21/1

يقول ابن القيم:"كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أفصحَ خلق اللّه، وأعذبَهم كلاماً، وأسرعَهم أداءً،وأحلاهم مَنْطِقاً،حتى أن كلامه لَيَأْخُذُ بمجامع القلوب،ويَسبي الأرواح،ويشهدُ له بذلك أعداؤه، وكان إذا تكلم تكلَّم بكلام مُفصَّلٍ مُبَيَّنٍ يعدُّه العادُّ،ليس بِهَذٍّ مُسرِعٍ لا يُحفظ، ولا منقَطع تخلَّلُه السكتات بين أفراد الكلام، بل هديُه فيه أكملُ الهدي،.. ".[1]

أقوالهم قي ضرورة الاحتجاج بالحديث:يقول ابن الطيب،في مؤلَّفِه«تحرير الرواية في تقرير الكفاية»،داعياً إلى رُكوب مَرْكَب الاحتجاج بالأحاديث في علوم اللغة:"وهذا الذي ينبغي التعويل عليه،والمصير إليه؛ إذِ المتكلم به – صلى الله عليه وسلم – أفصح الخَلْق على الإطلاق،وأبلغ مَنْ أعْجَزَت فصاحتُه الفصحاءَ على جهة العموم والاستغراق. فالاحتجاجُ بكلامه – عليه الصلاة والسلام – الذي هو أفصح العبارات،وأبلغ الكلام، مع تأييده بأسرار البلاغة،ودلائل الإعجاز،من المِلك العلاّم،أوْلى وأجْدَر من الاحتجاج بكلام الأعراب الأجْلاف،بل لا ينبغي أن يُلتفَت في هذا المقام لمقالِ مَنْ جار عن الوفاق إلى إجراء الخلاف".

يقول محمود فجَال،في كتابه"الحديث النبوي في النحو العربي»،مؤكداً هذه المسألة:"لقد كان من المنهج الحقّ بالبداهة أن يتقدّم الحديث النبوي سائرَ كلام العرب،من نثر وشعر،في باب الاحتجاج في اللغة والنحو؛إذ لا تَعْهَدُ العربية في تاريخها بعد القرآن الكريم بياناً أبلغَ من الكلام النبوي،ولا أروع تأثيراً،ولا أفْعَلَ في النفس،ولا أصحّ لفظاً،ولا أقْوم معنىً منه، ولكن ذلك لم يقع كما ينبغي؛ لانصراف اللغويين والنحويين المتقدمين إلى ثقافةِ ما يزوّدهم به رُواة الأشعار خاصة انصرافاًاستغرق جهودهم،فلم يبقَ فيهم لرواية الحديث ودراسته بقية".[2]

وبعد أن برهنا على بلوغ الكلام النبوي أعلى مراتب الفصاحة،بالشهادات التي نقلنا بعضاً منها إذ لا يمكن أن تستوعبها هذه الدراسة إذ تحتاج إلى أوعية أوسع،فلنا أن نسأل عن حضور هذه البلاغة في المصنفات البلاغية؟إلى أي مدى اعتمد عليها علماء البلاغة ووظفوها في كتبهم؟

فكان السؤال الذي حيرني،ومازال يدفع فضولي للبحث طالما أنّ البلاغة النبوية بلغت الذروة بعد القرآن الكريم. كما نقلنا أقوالهم وشهادتهم،فلماذا لم يستشهد به فريق من البلاغيين؟

توظيف الحديث في المصنفات البلاغية دراسة إحصائية:لا ينبغي الاعتقاد أني من خلال هذا الإحصاء أردت الاستيعاب والشمول،و استقراء هذه الظاهرة واستخراجها من بطون الكتب؛ولكني حاولت من خلال هذا الإحصاء إلى رسم صورة لحضور الحديث في استشهادات البلاغيين في الدراسات البلاغية على وجه الخصوص إذ كان الاعتقاد أن الحديث بما حظي به لدى الدارسين كان ينبغي أن يكون أكثر حضورا في الدراسات اللغوية في ظل الاعتقاد بقدسية النص الحديثي إذ لا ينطق عن الهوى كما وصفه القرآن لا ينتابهم شك في ذلك،دون أن تكون الغاية،من هذا الإحصاء الانتهاء إلى الاستيعاب المطلق لحصر استشهادات البلاغيين بالحديث النبوي الشريف،ولا إلى بلوغ الغاية مما

[1] زاد المعاد: ابن القيم الجوزية1 / 4 .

[2] ص: 99.

كنّا نريد لأن ذلك مطمع بعيد المنال،ولا تستوعبه هذه المداخلة ...لكن على الأقل عندما نقف على استشهاداتهم في المصنفات البلاغية الذي يكاد يكون كاملاً على الشعر العربي،وإغفال واضح للحديث النبوي،لا يُعَدّ من الغريب الزعم بأن"هذا الانصراف عن الاعتماد على الحديث في الاحتجاج قد شمل معظم البلاغيين تقريباً...ممّا يجعل التساؤل مشروعا عن سبب قلة الشواهد الحديثية في استشهادات البلاغيين في كتبهم ؟فهذا الإحصاء يكشف لنا عن مدى حضور الحديث في الدراسات البلاغية إذ لم يكن غائباً بل كان حاضرا لكنه قليل إذا ما قرن بالمصادر الأخرى،فمن خلال هذا الإحصاء ولو لم يكن دقيقا تمام الدقة إلا أني اكتشفت أن نظرتهم للحديث لم تكن واحدة فهناك المكثر،وهناك المقل،وهناك من أدار له ظهره.

وهذه دراسة إحصائية لحضور الحديث في الدرس البلاغي:

- البلاغة:أبو العباس المبرد: 1.
- دلائل الإعجاز:الجرجاني:15.
- الكناية والتعريض:أبو منصور الثعالبي: 15.
- المصباح في المعاني والبيان والبديع:بدر الدين بن مالك: 6
- الفوائد الغياثية في علوم البلاغة:العلامة عضد الدين الايجي:3
- أسرار البلاغة:الجرجاني:32.
- الحاشية على المطول شرح تلخيص المفتاح في علوم البلاغة:السيد الشريف الجرجاني:2
- الحاشية الصاوية على الرسالة الدردرية في علم البيان:أبوالعباس أحمد الصاوي الدرديري:12.

.314 - أساس البلاغة: الزمخشري:

- البديع في علم العربية:مجد الدين بن الأثير:23.
- الفلك الدائر على المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الأثير:8.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الأثير:140.

الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون:الأخضري:14.-

- تلخيص المفتاح:7.

- وشي الربيع بأدوات البديع في ضوء الأساليب العربية:دكتوراه عائشة فريد:لقد اعترفت بأن أساليب القرآن والحديث في أعلى مرتبة وأسماها مكانة لذلك تخيرت من نصوص القرآن والحديث شواهد. ومع ذلك لم تستشهد بالحديث إلا 22حديثاً.

- فن البديع:الدكتور عبد القادر حسين:16.

- في البلاغة العربية:د.محمود حسن أحمد المراغي:11;يقول:"وكان القرآن الكريم والحديث الشريف خير مثل واسمي مثال لهم في درسهم البديعي"ومع ذلك لم يستشهد إلا ب 11 حديث

- البديع والتوازي:د.عبد الواجد حسن الشيخ:1.

- جواهر البلاغة في المعاني والبيات والبديع:أحمد الهاشمي:17.
- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة:عبد المتعال الصعيدي:18
- الكناية والتعريض:أبو منصور الثعالبي:14.

بعد هذا الإحصاء نخلص أن البلاغيين، لم تختلف نظرتهم لما حدده علماء النحو – ربما الاختلاف في الأسباب والدوافع – فمن خلال الدراسة الإحصائية التي لجأنا إليها وجدنا معظمهم لم يستخدموا الحد يث في دراسة مسائل البلاغة،ولم يولوه ما هو حقيق به من الاستشهاد والاحتجاج. للأسباب التي سنذكرها.

الأسباب والدوافع التي جعلت علماء البلاغة يتخلون عن الحديث:لعلنا قبل الحديث عن الأسباب والدوافع التي جعلتهم يتخلون على الحديث نقر بداية أنه لا توجد معرفة بريئة،فالحياد النصي وهم إيديولوجي والبراءة الفكرية ضرب من المستحيل،ما دام كل خطاب معرفي يهدف إلى تمرير حمولة إيديولوجية.إن الإيديولوجيا ثاوية في الخطابات جميعها،وليس ثمة خطاب– من وجهة النظر هاته–يمكن أن يعرى تماما من الإيديولوجيا.في ضوء هذا الفهم سنحاول في هذا البحث الكشف عن الأسباب التي دفعتهم للتخلي عن الحديث اعتقاداً مني أن معرفة السبب يساعدنا على وضع العلاج.

أثر النحاة:النحاة هم أصحاب الفضل الأول في نشأة علم البلاغة على الرغم من أنها كانت في البداية نظرات متناثرة هنا وهناك ضمن مباحثهم النحوية ثم أتيح لمن أعابهم أن يصوغ من هذه النظريات العابرة قواعد بلاغية ذات صبغة علمية وقد رسخ أذهان الباحثين عن نشأة البلاغة وتطورها أن أبا عبيدة هو أول من تناول البلاغة بالحديث.وإذا كان كتاب سيبويه قبلة الدارسين النحويين لما له من أهميته كبرى عند الاقدمين يستنبطون منه القواعد النحوية نحتاج لتعلمها علي مرالعصور حفاظا على اللغة العربية و سلامتها فانه في نظرنا لو فحصنا جيدا في كتاب سيبويه لاستطعنا أن نستنبط ما نثر فيه من مباحث بلاغية عابرة حينا ومركزة أحيانا فقد ظل الكتاب لوقتنا هذا غابة مجهولة وسرا مغلقا لكثير من الدارسين الذين يتوقون لاجتلاء معانيه وكشف اللثام عما فيه من نظرات ثاقبة لها أثرها الكبير في بناء صرح البلاغة العربية، فكان لزاما عليَّ وأن أتحدث عن الأسباب والدوافع التي جعلت علماء البلاغة يتخلون عن الحديث أن أتحدث عن أثر النحاة وخاصة سيبويه.قد يكون من أسباب امتناع القدماء عن الاحتجاج بالحديث في المادة اللغوية،يرجع إلى إعْراض سيبويه عن الاستشهاد بالحديث عنه في كتابه المشهور،الذي لم يكن مؤلَّفاً خالصاً في النحو والصرف العربيّن،بقدْر ما اشتمل – أيضاً – على مسائل بيانية وأدبية عدة.و سيبويه يتحدث عن عبارات لغوية تدخل في الدراسات البلاغية،مثل المسند إليه وتنكيره ومن الألوان البلاغية المعروفة كما تحدث عن اللفظ الموضع لغير العاقل في موضع العاقل،وغير ذلك مما يتحتم الإشارة إليه.وقد تحدث علماء البلاغة عن النداء وخروجه عن أصله؛وهذا سيبويه قد سبقهم للحديث عنه فيقول(هذا باب ما يكون النداء فيه مضافا إلي المنادي بحرف الإضافة)كما تحدث عن التقديم والتأخير وربما كان أول من طرق سر هذا اللون البلاغي من العلماء ،فسيبويه حين يعالج التقديم والتأخير في الكلام فانه يلفت النظر إلي سر بلاغي أيضا نجده يتكلم عن التنكير ويبين بعض أعراضه،كما طرق باب التعريف،وغيره من الأبواب البلاغية.كما نجد سيبويه ينص في مواضع كثيرة على ضرورة

الحذف لأسباب نراها تدخل في فن البلاغة مثل التخفيف والإيجاز والسعة،و في مواضع من الكتاب يتحدث سيبويه عن ألوان بلاغية أخر ى كالقصر و الفصل والوصل،و المجاز العقلي،كما تناول أيضا بعض مباحث علم البيان،كالتشبيه و الاستعارة، و المجاز،و الكناية و غير ذلك ومن البديع الذي ذكره تأكيد المدح بما يشبه الذم،و التجريد،لا شك أن هذه المسائل البلاغية التي طرقها سيبويه في كتابه تشكل كثيرا من أبواب البلاغة،التي تأثر بها كثير من العلماء الذين جاءوا من بعد ه و اغترفوا من هذا الكتاب،فلا يملكُ قارئ الكتاب،من أوله إلى آخره،بشيء من التركيز،إلاّ الإقرار بقلة الأحاديث التي استشهد بها سيبويه في كتابه،وغير منصوص على أنها أحاديثُ نبوية،وإن حاول بعض الدارسين التمس العذر لسيبويه،كل ذلك كان له انعكاس سلبي في الاحتجاج بالحديث في الدرس البلاغي.

لا شك أن هذه المسائل البلاغية التي طرقها سيبويه في كتابه تشكل كثيرا من أبواب البلاغة، و لذلك فان كثيرا من العلماء الذين يعتد بهم في تاريخ البلاغة قد اغترف من هذا البحر.

ارتباط البلاغة بالقرآن وخاصة بقضية إعجاز القرآن:إنّ ارتباط البلاغة بالقرآن وخاصة بقضية إعجاز القرآن أمرٌ واضحٌ جليٌ في كثير من كتب البلاغة ومصادرها الأساسية،فمن خلا الإطلاع على بعض لكتب البلاغة تندرك العلاقة القويّة بين القرآن والإعجاز فدلائل الإعجاز للجرجاني، ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للرازي،والطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوي،والتبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن لابن الزملكاني،وغيرها من كتب البلاغة الأساسية التي كانت غايةُ بحثها الوصولَ إلى فهم الإعجاز في القرآن،ولذلك وُجدَ في كثيرٍ منها بابٌ لدراسة الإعجاز،وقد انتقد العلوي أولئك البلاغيين من أمثال السّكاكي وابن الأثير الذين لم يفردوا بابًا في كتبهم لهذا الموضوع،الذي كان يرى فيه الهدف المقصود،والغرض الأساسي من دراسة البلاغة،لعل كل ذلك من الأسباب التي دفعت علماء البلاغة عدم الاستشهاد بالحديث لانشغالهم بالقرآن الكريم.ومع ذلك تستغرب وأنت تقرأ كتب البلاغة وهم يستشهدون بالشعر ويقدمونه على غيره.

تقديمهم الشعر: واعتماد الشعر مصدر للغة أمر غير مستغرب عند أمة كان الشعر ديوانها وعنوان فخرها،فإن أعظم المصادر في معرفة اللغة بعد كتاب الله تعالى,و سنة نبيه الأعظم محمد صلى الله عليه و سلم . شعرُ العرب،إذ كان الشعر ديوانَ العرب خاصة والمنظومَ من كلامها،والمقيِّدَ لأيامها،والشاهد على أحكامها.حتى لقد بلغ من كَلَف العرب به وتَفضيلها له أن عمدت إلى سبع قصائد تَخيَّرتها من الشعر القديم،فكتبتها بماء الذهب في القبَاطيّ المدرجة،وعَلّقتها بين أستار الكعبة ومن الدليل على عِظَم الشِّعر عند العرب،وجليل خَطْبِهِ في قلوبهم،أنَّه لما بُعث النبيُ صلى الله عليه وسلم بالقرآن المعجِز نظمه،المحكم تأليفه،وأعجب قريشاً ما سمعوا منه قالوا:ما هذا إلا سِحْرٌ.وقالوا [1] شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ (النبيّ صلى الله عليه وسلم: عنى البلاغيون كالنحاة بالاستشهاد منذ بدء الدرس البلاغي،استدلالاً على صحة قاعدة استنتجوها أو تأييدًا لرأى ذهبوا إليه. وكثرت الاستشهادات فى كتبهم وتنوعت

[1] سورة الطور الآية :30.

لتشمل القرآن الكريم بقراءاته، والحديث النبوي الشريف والشعر والنثر،بشروط وضعوها لكل منها، وبعضها متفق عليه وبعضها مختلف فيه، وليس هذا مجالنا للحديث عنها.

وزاد الاهتمام بالشواهد الشعرية بصفة خاصة،نظرًا لأن الشعر ديوان العرب،"حتى تخصصت كلمة الشاهد فيما بعد،وأصبحت مقصورة على الشعر فقط ؛ولذلك نجد كتب الشواهد لا تحوى غير الشعر، ولا تهتم بما عداه ".

والشعر ديوان العرب،وقد كان ابن عباس وغيره يفسرون غريب القرآن بأشعار العرب .[1]

وكان المسلمون في مختلف العصور يحفِّظون أولادهم الجيد من الشعر العربي،ليستفيدوا منه في لغتهم،وتنمية مداركهم.

فالشعر فيه الخيال الكثيف،والحكم،والإيقاع المطرب،وتاريخ الأمم والشعوب،والإيجاز،وتأثيره في النفوس كبير جداً فكم من فرد أو قبيلة تغيرت أنشطة حياتهم بيت شعر قالوه أو قيل لهم، ولا نريد الاستطراد،لأننا لو جئنا على شيء من هذا لجئنا على شيء كثير.

نجد مصدر الظواهر البيانية عند الشاعر العاطفة والخيال، أما في الحديث النبوي الشريف فمنبعها ليس هو الخيال ولا العاطفة ولكن منبعها الحقيقة، فقد استقر عند نقاد الشعر الذين انشغلوا تماماً بالظاهرة البلاغية ذات المنبت الشعري أن الظاهرة البيانية،وخاصة التشبيه والاستعارة،أكثر ما تكون في الشعر ولذلك ابتعدوا عن الأحاديث.

وقد عقد الجرجاني باباً:منزلة الشعر والنحو من إعجاز القرآن:وذاك أنَّا إذا كنَّا نَعلم أنَّ الجهةَ التي منها قامَتِ الحجةُ بالقُرآنِ وظهرتْ،وبانَتْ وبَهرت،هيَ أنْ كانَ على حَدٍّ منَ الفَصاحةِ تقصرُ عنه قُوى البشرِ،ومُنْتهياً إلى غايةٍ لا يُطمَح إليها بالفِكر، وكان مُحالاً أن يَعرف كونَه كذلك،إلا مَنْ عَرفَ الشعرَ الذي هو ديوانُ العَرب،وعنوانُ الأدب،والذي لا يُشك أنه كانَ ميدانَ القومِ إذا تجارَوْا في الفَصاحة والبيان،وتنازَعوا فيهما قَصَبَ الرَّهان، ثم بَحث عنِ العِلل التي بها كانَ التباينُ في الفَضْل،وزادَ بعضُ الشعر على بعضٍ كان الصادُّ عن ذلك صادّاً عن أَن تُعرَف حجةُ الله تعالى،وكان مَثلُه مَثلَ مَن يتصدَّى للنّاسِ فيمنعُهم عَن أنْ يحفظوا كتابَ الله تعالى ويقوموا به ويتلوه ويقرِئُوه، ويصنعُ في الجملةِ صَنيعاً يؤدِّي إلى أَنْ يَقلَّ حفَّاظُه والقائمونَ به والمقرئون له. ذاك لأنَّا لم نتعبَّدْ بتلاوتِه وحِفْظه، والقيامِ بأَداء لفظهِ على النَّحو الذي أُنزل عليه، وحراستِه من أن يُغَيَّر ويُبدَّل،إلاَّ لتكونَ الحِجةُ بهِ قائمةً على وجهِ الدَّهر،تُعرَف في كل زمانٍ،ويتوصَّلُ إليها في كلَّ أَوان،ويكونُ سبيلُها سبيلَ سائرِ العلوم التي يَرويها الخَلَفُ عن السَّلف، ويأَتُرُها الثاني عن الأول،فمَنْ حال بيننا وبين ما له كانَ حفْظُنا إيّاهُ، واجتهادُنا في أن نؤدِّيَه ونَرعاه، كَان كَمن رامَ أن يُنْسيناه جُملةً ويُذْهبه من قلوبنا دَفعةً،فسواءٌ مَنْ منَعكَ الشيءَ الذي تنتزع منه الشاهدُ والدَّليلُ، ومَنْ منعَكَ السبيلَ إلى انتزاعِ تلك الدَّلالةِ، والاطِّلاعِ على تلك الشَّهادةِ، ولا فرقَ بينَ مَن أعدمَك الدواءَ الذي تَسْتَشفي به من دائك، وتَسْتبقي به حشاشةَ نَفْسك، وبينَ مَن أعدمَكَ العلْمَ بأنَّ فيه شفاءً،...[2]

[1] الإتقان في علوم القرآن 2/ 67،الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي 2/ 198

[2] دلائل الإعجاز في علم المعاني:الجرجاني،ص:8-9.

فقضية الإعجاز التي أشرنا إليها سابقا أثّرت تأثيرًا واضحًا في توجيه التأليف في البلاغة، فإنّها غَدت كذلك وسيلة من وسائل دراسة علم الكلام ،ومن هنا كانت – فيما يبدو – سببًا من أسباب التي جعلتهم يتخلون عن الاستشهاد بالحديث في الدرس البلاغي لانشغالهم بالفلسفة وعلم الكلام والجدل.

المعتزلة:فمن شدة استغراقهم في المناظرات العلمية الدينية،كان لزاماً عليهم أن يتعلموا أسس المناظرة وأسلوب طرح الحجج والسبيل لغلبة الخصوم سواء كان ذلك بحق أو بغير حق،وكيف يزيفون الحق ويقبحونه،وكيف يزينون الباطل ويحسنونه،فدرسوا كتب أرسطو وأفلاطون بل واطلعوا على جميع الثقافة اليونانية،لدرجة أنّ الجاحظ يقول:إن العالم عندنا(أي المعتزلة)هو من يجمع بتلك العلوم.ولم يهمل علماء المعتزلة البلاغة العربية فهي عنصر ثان مهم في تحسين الكلام فاستفادوا منها كورقة رابحة في إقناع الخصوم ولفت نظر الجمهور إليهم،فنهض علماؤهم في تتبع مواضع الجمال في أسلوب القران وكلام العرب ومن ثم تدوينه كمصطلحات بلاغية.والطريف في الأمر... أن المعتزلة كانوا يخدمون العربية ممثلة في (البلاغة)من جهة،وكان إلى جانبهم أهل السنة يخدمون العربية ممثلة في (النحو) من جهة أخرى.أما ما يخص الحديث،فإن المعتزلة كانوا مدركين تماما لما دخله من الكثير من الأحاديث الموضوعة.ونظرا لأن تكذيب الحديث وصحته وعدم الإيمان بمضمونه وإسناده كان أمرا لا يدخل في دائرة الإلحاد،أو يعادل من يشكك في القرآن وصحته،فقد مالت المعتزلة إلى رفض كل الأحاديث التي تتعارض مع أصولهم الخمسة،ولم يقبلوا أي حديث لا يتفق والمبادئ التي أعلنوا تمسكهم بها تمسكا شديدا.لقد نشأ الخصام أو النزاع بين المعتزلة وأهل الحديث مبكرا جدا،فهذا الذهبي ينقل لنا في ميزان الاعتدال أن عمرو بن عبيد عندما ذكر له أحد أحاديث الرسول(صلى الله عليه وسلم)،قد قال:"لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذبته،ولو سمعته من زيد بن وهب لما صدقته،ولو سمعت ابن مسعود يقوله ما قبلته،ولو سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول هذا لرددته، ولو سمعت الله يقول هذا لقلت: ليس على هذا أخذت ميثاقنا.[1]

ومن بعد عمروبن عبيد كانت المعتزلة تميل إلى تحقير أصحاب الحديث والسخرية منهم،وخاصة أن معظم أتباعهم كانوا من العوام.وكان من مظاهر نظرة المعتزلة الاستحقارية لأصحاب الحديث أن أطلقوا عليهم كما يقول ابن العماد الحنبلي في الجزء الأول من شذرات الذهب لفظ "الحشوية".[2]

---

[1] ميزان الاعتدال: الذهبي،278/3.

[2] شذرات الذهب في أخبار من ذهب:أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ،211/1. والحشو هو في الواقع لفظ مرادف لـ"الوضع" أي الكذب في الحديث، ونسب إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما لم يقله. هذا التعبير يغمز به أهلُ البدع أهلَ الحديث الحَشوِية: بفتح الشين لا بسكونها،قال البرماوي في «شرح ألفيته»: الحشْوية بسكون الشين؛ لأنه إما من الحَشْو لأنهم يقولون بوجود الحشْو الذي لا معنى له في كلام المعصوم، أو لقولهم بالتجسيم لأن الجسم محشو ونحو ذلك، ويقال أيضاً بالفتح لما يروي أن الحسن البصري لما تكلموا بالسقط عنده قال: ردوا هؤلاء إلى حشواء الحَلَقة أي: جانبها، والجانب يسمى حَشْياً، ومنه الأحشاء لجوانب البطن، ويقال فيهم غير ذلك. «انتهى».ذيل لب اللباب في تحرير الأنساب: أحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ابن إبراهيم العجمي ، شهاب الدين ،ص:111.

وكان إبراهيم النظام المعتزلي لا يقبل أي حديث يتعارض مع أصول المعتزلة.فقد حكى عنه البغدادي في الفرق بين الفرق أنه:"عاب أصحاب الحديث ورواياتهم أحاديث أبي هريرة.وزعم أن أبا هريرة كان أكذب الناس"[1].كما أنه اتهم ابن مسعود بالكذب على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في حديثه عن انشقاق القمر[2].

السخرية من أهل الحديث والاستهزاء بهم:وجاء من بعدهم الجاحظ الذي واصل سياسة أستاذه –النظام– في السخرية من أهل الحديث والاستهزاء بهم. فهو يطلق عليهم لفظ "الحشوية" في إحدى رسائله،وفي رسالة أخرى يسميهم "النابتة".[3]

وحكى عنه ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث، قائلا: "وذكر الحجر الأسود وأنه كان أبيض، فسوده المشركون، وقد كان يجب أن يبيضه المسلمون حين أسلموا".[4]

وهكذا يظهر واضحاً أن المعتزلة ما بين شاك في عدالة الصحابة، منذ عهد فتنة سيدنا عثمان رضي الله عنه وما بين موقن بفسق إحدى الطائفتين [5]لا بعينها، وما بين موقن بفسقهما معاً، وما بين طاعن في أعلامهم، متهم لهم بالكذب والجهل والكفر والنفاق كالنظام.مع أن رؤساءهم وخاصة الذين طعنوا منهم في الصحابة – كانوا من الرقة في الدين بحيث يصف أحدهم وهو ثمامة بن أشرس – جمهور المسارعين إلي الصلاة بأنهم "حمير":وكانوا من الشعوبية والكره للعرب بحيث يقول ثمامة نفسه:"انظر إلي هذا العربي يعني محمد صلي الله عليه وسلم ماذا فعل بالناس؟"فماذا ننتظر من هذا الشعوبي الماجن أن يقول عن صحابة رسول الله رضي الله عنهم ؟ وماذا ننتظر أن يكون رأيه في السنة التي حققها أئمة الحديث ومحققوهم.

وهذا ما دفع أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصورالطبري الرازي لعقد فصلا تحت عنوان:(**جَهْلُ الْمُعْتَزِلَةِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ**)قَوْمٌ لَمْ يَتَدَيَّنُوا بِمَعْرِفَةِ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فِي تِلَاوَةٍ أَوْ دِرَايَةٍ، وَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي مَعْنَى آيَةٍ فَفَسَّرُوهَا أَوْ تَأَوَّلُوهَا عَلَى مَعْنَى اتِّبَاعِ مَنْ سَلَفَ مِنْ صَالِحِ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ إِلَّا عَلَى مَا أَحْدَثُوا مِنْ آرَائِهِمُ الْحَدِيثَةِ،وَلَا اغْبَرَّتْ أَقْدَامُهُمْ فِي طَلَبِ سُنَّةٍ،أَوْ عَرَفُوا مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ مَسْأَلَةً.[6]

---

[1]الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية: البغدادي، ص133، السنة ومكانتها للسباعي،ص: 160.

[2]تأويل مختلف الحديث: ابن قتيبة، ، ص:18.

[3]رسائل الجاحظ، ج2، كتاب القيان، ص154. وراجع أيضا: الجزء الثالث من رسائل الجاحظ، رسالة في خلق القرآن، ص288.وقارن أيضا: الجاحظ، الحيوان، ج6، ص290.رسائل الجاحظ، ج3، رسالة في النابتة، ص5.

[4]تأويل مختلف الحديث:ابن قتيبة، ص: 42.

1/ [5]ذهب جمهور المعتزلة إلى أن عائشة وطلحة والزبير ومعاوية. وجميع أهل العراق والشام فُسَّاق بقتالهم الإمام الأصول جامع. يعنون عليًا كرم الله وجهه الحق، .133

[6]شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة 1/ 11.

جدلية ثنائية المعقول والمنقول:انشغل الفكر الانساتي عبر عصوره المختلفة بجملة من الثنائيات، ومن بين الثنائيات التي سيطرت على اهتمام الفكر الإسلامي ثنائية (المنقول والمعقول) فظلا يتجاذبان التأثير والتأثر على نحو تبدو العلاقة بينهما علاقة جدلية.

ولعل إشكالية ثنائية (المنقول والمعقول) التي نحن بصدد تسليط الضوء عليها مع ما لها من تأصل في الفكر الإسلامي قد ساهمت في كثير من الصراعات العلمية والمعرفية في شتى العلوم والمعارف ،ومن بينها علم البلاغة.لقد ساد خلافا طويلا بين أنصار الاتجاه النقلي وأنصار الاتجاه العقلي حول مسألة أسبقية الدليل النقلي على العقلي أو العكس،وقد كان لهذه القضية التي احتدمت منذ وقت مبكر أثرها في تفسير النص القرآني عبر قرون طويلة ،وبقيت تتنازعها الآراء وتتضارب حولها الأفكار،

واتخذها البعض مطية لإطلاق العنان للعقل وتحكيمه في تفسير النصوص ومنه النص البلاغي.هل إيمان بعض الفرق الإسلامية بقدسية العقل مسوغ لترك النقل ؟هل المنقول والمعقول والتناقض المقابلة بين «العقل» وبين «النقل» هي خصيصة من خصائص المسيرة الحضارية الغربية،ولا أثر لها ولا نظير في الإسلام وتاريخه الفكري والحضاري.؟ هل هو صراع وهمي ؟لقد تم اختزال العقل في الممارسة الاعتزالية إلى مجرد "أداة" تقرأ النص الديني وغير الديني قراءة بيانية لتبين "الحكمة" وتبيينها،لأن الحقيقة محددة سلفا ومعلومة مسبقا. وهو وضع اقتضى أن ينحصر دور العقل في الدلالة عليها والحجاج دونها[1].

لما كان العقل مرتكز المعتزلة الأول لتقرير العقائد،جعلوه حكماً على غيره من المصطلحات الشرعية واللغوية،دون مراعاة لما تعرفه العرب من لغاتها، ما تدل عليه النصوص من المعاني الشرعية بصيغها العربية،فعلى ضوئه فسروا المفردات الشرعية واللغوية معتبرين ما يوافق أهواءهم، فعوض أن يحتكموا للنصوص راحوا يحكمون العقل ويقدسونه ويقدمونه على غيره.

وهكذا احتدم الْأَمر أَكثر بِظُهُور فِئَة "الْمُعْتَزلَة" الَّتِي أَعْطَتْ لِلْعَقْلِ مكانة خَاصَّة، إِذْ لَا يعقل فِي نظرهم أَن يتعارض نَص مَعَ الْعقل الَّذِي احتكمت إِلَيْهِ النُّصُوص أَحْيَانًا فِي النّظر وَالِاسْتِدْلَال؛ وَلذَلِك ردوا كل رِوَايَة يتناقض نَصهَا مَعَ منطق الْعقل.

وتفاقم الصراع بَين هَذِه الْمدَارِس، وَكَانَ لكل مِنْهَا عُلَمَاء وحجج ونظرات، وألفت فِي ذَلِك كتب دَافع بهَا كل أَصْحَاب مَذْهَب عَن مَذْهَبهم.وكل ذلك انعكس على دراسة العلوم منها علم البلاغة.

المنطق: يقول التهانوي":إنّ العلوم البيانية العربية قد كشفت عن منطق داخلي فيها، وذلك حينما دفع بها تطورها الذاتي إلى أن تصل إلى ما وصلت إليه.فالتعقيدات والتفنينات التي جاءت على يد اللغويين لم تكن خنقا للحياة في اللغة، بل كان لا بدّ من الكشف عن النظم البنيوي لهذه اللغة. إنّ هذه العملية تسمّى عقل اللغة والبيان وهذا ما

[1]في شرعية الاختلاف :علي أومليل،ص: 4.

حدث عند ما تم ضبط علم الصرف والاشتقاق،وعلم المعاني والبيان وعلم النحو؛ كما إنّ تتّبع تراكيب الكلام الاستدلالي ومعرفة خواصها مما يلزم صاحب علم".

وازداد تأثير المنطق في البلاغة قوة عند المتأخرين،فالسكاكي مثلا حين ألف كتابه مفتاح العلوم في العلوم الأدبية أردف علوم البلاغة بالبحث المنطقي في الحد والاستدلال وعلل ذلك بأن "تتبع تراكيب الكلام الاستدلالي ومعرفة خواصها،مما يلزم صاحب علم المعاني والبيان،فقد جعل معرفة المنطق –كما ترى– ضرورية لمن يتعاطى البلاغة،فهو عنده عمادها الذي تقوم عليه،ومن ثم تكلم على البلاغة والمنطق في كتاب واحد.[1]

ونظير هذا التأثير القوي تلك المداخل المنطقية التي ذكرها البلاغيون المتأخرون كمقدمة أو تمهيد للبيان،وتنصب على الدلالة وشروطها وأقسامها الوضعية، والعقلية، وبالرجوع إلى الثقافة العربية نجد المنطق قد أثر فيها كثيرا بحيث أفاد منه علم الكلام والفلسفة،وأفادت منه العلوم الدينية كالأصول،وأفاد منه النقد الأدبي في بعض مناهجه،وتتجلى إفادة هذه العلوم من المنطق في ضبط مناهجها وجعلها قائمة على البحث الدقيق المحكم،وليس في نيتي الكلام على تأثير المنطق في العلوم بهذا المعنى الواسع،فهذه الكلمة لا تنهض بذلك، وليس من اختصاص صاحبها، وإنما المراد محاولة حصر أثر المنطق في البلاغة بوجه عام.

الفلسفة:وإذا استعرضنا تأثير الفلسفة وفروعها من المنطق والكلام في البلاغة فإننا نجد أن هذا التأثير كان قويا واسع المدى يشمل جميع مراحل عمرها،فقد نشأت البلاغة في أحضان كثير من العلوم كان المنطق والكلام على رأسها،والدليل على هذا أن أكثر البلاغيين كانوا يتعاطون الفلسفة والكلام،وأذكر منهم بشر بن المعتمر،والجاحظ،وقدامة بن جعفر،وعبد القاهر الجرجاني،والزمخشري والسكاكي وغيرهم كثير،وقد كان لصلة رجال البلاغة بالفلسفة أثرها في توجيه الأبحاث البلاغية توجيها كلاميا فلسفيا مما جعل بعض الباحثين يذهب إلى القول بأن البلاغة كانت وديعة في يد المتفلسفين على مر الدهر.

ولتأثير الفلسفة بمنطقها وكلامها في البلاغة صور ومظاهر كثيرة:منها أنّ المتكلمين وضعوا المصطلحات وأمدوا بها البلاغة أثناء نموها وتكوينها بحيث استفادت من ذلك في وضع أسسها وتدعيمها وجعلها نشاطا خاصا قائما بذاته،ومنها أيضا ظهور الفنون البلاغية على يد الباحثين في الإعجاز وأغلبهم من المتكلمين الذين تمثلوا المنطق واعتمدوا عليه في أبحاثهم الاعتقادية،ومنها كذلك النزعة الجدلية الحجاجية التي سيطرت على البلاغة،ولا سيما عند المتقدمين ليس هذا مجال حصرها.

وقد أفضى هذا التأثير إلى ظهور مدرستين في البحث البلاغي نص عليهما أبو هلال العسكري بقوله: "وليس الغرض في هذا الكتاب سلوك مذهب المتكلمين،وإنما قصدت فيه مقصد صناع الكلام من الشعراء والكتاب،فالعسكري في هذا النص يذكر مدرستين في البحث البلاغي هما: المدرسة الكلامية،والمدرسة الأدبية،ويسميها "صناع الكلام"

[1]. مفتاح العلوم،ص: 432

المدرسة الكلامية: وتتميز بالجدل،والمناقشة،والتحديد اللفظي،والعناية بالتعريف الدقيق الصحيح، والحرص على القواعد المحددة مع الإقلال من الشواهد الأدبية، والاعتماد على المقاييس الفلسفية والقواعد المنطقية في الحكم بحسن الكلام وجودته أو بقبحه ورداءته دون نظر إلى معاني الجمال وقضايا الذوق.وتعنى المدرسة الكلامية –غالبا– بإعجاز القرآن الذي هو ملتقى ما بين الأدب والعقائد والفلسفة الإلهية وما أشبهها لكن أغلب المتكلمين في هذا الباب معرضون عنه في التطبيق،مع كونهم مجمعين على صحته عند التنظير.

ولعل السبب في ذلك،تجاذب الاختصاصات العلمية،وذلك أنّ الباحثين في أبواب البلاغة عموماً – والنبوية منها خصوصا – هم من أرباب اللغة والبيان،وليسوا من المحدثين والحفاظ.

ولذلك قل عندهم الاستدلال بالأحاديث ،وحتى الأحاديث التي استشهدوا بها لا تصلح للاستدلال، لفقدها ركن الثبوت،وهو الأساس الذي يبنى عليه الاحتجاج.

ولكن على الرغم من هذه الأسباب التي ذكرنها يبقى غياب الحديث النبوي الشريف التي لا تتواءم مع كثير من آراء البلاغيين التي كانت شائعة إلى أنواع أخرى من الخطاب، فالأمر في الحديث النبوي الشريف ليس على هذا النحو،فهو ليس حجاجاً حوارياً،وإنما خطاب إقناعي وبين الأمرين بونٌ بعيد،فالمتلقي للخطاب في الحديث النبوي الشريف ليس بحاجة إلى حجة،وإن كان بحاجة إلى بيان وتبليغ،فإن أطلقنا على هذا البيان كلمة اقتناع فإنه من الحقائق التي لا جدال فيها أن عملية الاقتناع هنا تنشأ بضمان المحددات السياقية،فالمخاطب مقتنع سلفاً بقدسية النص التي انبنت على مقام المتكلم،وهنا نقول إن الاقتناع لا يعدو أن يكون تمكيناً للحقائق في نفس المتلقي ليتحول الخطاب إلى منجز، إن أقوى دعائم الحجة هنا هي دعائم السياق ولا شيء غير السياق،ومن هنا أيضاً يتضح أن الأقوال العاطفية الخطابية عن قدرته – صلى الله عليه وسلم – الحجاجية، وأن هذه القدرة الحجاجية هي ركيزته – صلى الله عليه وسلم – في دعوة الناس"... فلا بد أن يكون الذي يتولى هدايتهم من الظلمات إلى النور بالبرهان والمنطق أشدهم عارضة وأقواهم حجة".[1]

ختاماً نستطيع أن نستخلص مما سلف أن "البلاغة" ارتبطت في نشأتها بالصراع بين الفرق الكلامية كالمعتزلة والأشاعرة والماتريدية وغيرهم،كان من نتائجه ما حدث في الثقافة العربية من تجاذبات وصراعات بين المذاهب للإطاحة بالخصوم مما شغلهم عن جوهر البلاغة والتقعيد لها بالمصادر المتفق عليها،حتى غدا "علم الكلام والفلسفة والمنطق" علامة عليها،لذلك نقول:فليس رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رجل منطق أو حجاج ومناظرات وفلسفة هو رسول،والأصل في الرسالة هو التبليغ،وبذلك تتحدد رؤية البعد الإقناعي في الظواهر البيانية بوصف هذه الظواهر جزء لا يتجزأ في منظومة الأبعاد السياقية التي تحكم عملية الخطاب والتواصل؛ لأنّ الخطاب في الحديث النبوي الشريف موجه إلى المسلمين الذين آمنوا به نبياً ورسولاً وصدقوه بلا شك،كما تتحدد رؤية هذا الظواهر أيضاً في أنها رافد يدعم الغاية التمكينية للأمر والنهي.

[1] الاستعارة بين حساب المنطق, ونظرية الحجاج:طه عبد الرحمن: ص 53.. نظرية بلاغة الحديث النبوي ،: 53.

من غير المعقول والمقبول أن يقر علماء البلاغة،وغيرهم أنّ النبي صلى الله عليه وسلم أفصح العرب قاطبة ثم لا يستشهدون بحديثه في البلاغة:مهما كانت الأسباب التي يتحجج بها هؤلاء تبقى غير مقبولة وبالتالي لقد فوت البلاغيون على الدرس البلاغي ثروة لغوية كبيرة كانت بلا شك ستنعكس بالإيجاب على البلاغة .

لذلك توصي هذه الدراسة: إعادة توظيف الحديث النبوي في الدرس البلاغي الحديث، والاستفادة من ثماره العظيمة في الدراسات.

المصادر والمراجع

-الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي،تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ،ط : 1394هـ/ 1974 م،الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- الآداب للبيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي اعتنى به وعلق عليه: أبو عبد الله السعيد المندوه،.لأولى، 1408 هـ - 1988 م،مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت — لبنان.

-إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي،ط.الثامنة - 1425 هـ - 2005 م،دار الكتاب العربي — بيروت.

- أساس البلاغة:الزمخشري ،تحقيق:محمد باسل عيون السود،منشورات علي بيضون،دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

- أسرار البلاغة:الجرجاني، قرأه وعلق عليه:محمود محمد شاكر،دار المداني بجدة،والمداني بالقاهرة،ط. 1412.

- البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري ،تحقيق :طفى أبو الغيط و عبدالله بن سليمان وياسر بن كمال ،.الاولى ، 1425هـ-2004م،دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض-السعودية.

- البديع والتوازي:د.عبد الواجد جسن الشيخ: مكتبة الإشعاع.

- البديع في علم العربية:مجد الدين بن الأثير تحقيق ودراسة،د فتحي أحمد عليّ الدين،جامعة ام القرى مكة المكرمة 1420.

- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ،تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم،ط.الأولى ، 1376 هـ - 1957 م،دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة:عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب القاهرة 1420-1999.

- البلاغة:أبو العباس المبرد دراسة،وتحقيق وتعليق:عاشق حسين،دار الكتاب المصري القاهرة،دار الكتاب اللبناني بيروت.

- البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ،تحقيق وشرح: عبد السلام هارون ،ط.السابعة1418هـ ، 1988م،مكتبة الخانجي،القاهرة.

- تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني،أبو الفيض،الملقّب بمرتضى،الزَّبيدي ، تحقيق مجموعة من المحققين ،دار الهداية.

- تأويل مختلف الحديث: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ،ط. الطبعة الثانية- مزيده ومنقحة 1419هـ - 1999م ، المكتب الاسلامي - مؤسسة الإشراق.

- تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف: جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي ،تحقيق:
عبد الصمد شرف الدين ، ط. الثانية: 1403هـ، 1983م ،المكتب الإسلامي، والدار القيّمة .

- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري،تحقيق: سامي بن محمد سلامة ،ط.الثانية 1420هـ - 1999 م،دار طيبة للنشر والتوزيع.

- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ط. الأولى 1419هـ. 1989م ،دار الكتب العلمية.

- تلخيص المفتاح ،قدّمه وحققه وعلق عليه:د أحمد الحوفي،ود.بدوي طبانة دار نهض مصر.

- التيسير بشرح الجامع الصغير: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي ط.لثالثة، 1408هـ - 1988م،كتبة الإمام الشافعي - الرياض

– جامع الأصول في أحاديث الرسول:مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير ،تحقيق :عبد القادر الأرنؤوط،ط.الأولى الجزء[8 – 11]: 1392 هـ 1972 م ،مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان.

– الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري،دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة . بيروت.

– الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب،تحقيق:د. محمود الطحان،مكتبة المعارف – الرياض.

– جواهر البلاغة في المعاني والبيات والبديع:أحمد الهاشمي ضبط وتدقيق وتوثيق:د.بوسف الصميلي،المكتبة العصرية صيدا بيروت.لبنان.

– الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون:الأخضري، قدّمه وحققه وعلق عليه:د أحمد الحوفي،ود.بدوي طبانة دار

نهض مصر.

– الحاشية لصاوية على الرسالة الدردرية في علم البيان:أ بوالعباس أحمد الصاوي الدرديري ، دراسة وتحقيق:سعيد بوخاوش رسالة ماجيستير.

– الحاشية على المطول شرح تلخيص المفتاح في علوم البلاغة:السيد الشريف الجرجاني، دراسة وتحقيق وتعليق:عاشق حسين،دار الكتاب المصري القاهرة،دار الكتاب اللبناني بيروت.

– الحديث النبوي في النحو العربي :محمود فجال،ط.الثانية1417–1997،أضواء السلف الرياض.

– دلائل الإعجاز:الجرجاني ،قرأه وعلقعليه:محمود محمد شاكر،دار المداني بجدة، والمداني بالقاهرة،ط. 2004.

– دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي،تحقيق:عبد المعطي قلعجي،ط.الأولى1408هـ ، 1988م.،دار الكتب العلمية + دار الريان للتراث،بيروت + القاهرة.

– ذيل لب اللباب في تحرير الأنساب: أحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ابن إبراهيم العجمي الشافعيّ الوفائي المصري الأزهري، شهاب الدين ،دراسة وتحقيق: د. شادي بن محمد بن سالم آل نعمان،ط. الأولى، 1432 هـ – 2011 م،مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، اليمن.

– الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي تحقيق: عمر عبد السلام السلامي ط: الطبعة الأولى، 1421هـ/ 2000م: ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

–عمل اليوم والليلة: أحمد بن شعيب بن علي النسائي أبو عبد الرحمن،تحقيق : د. فاروق حمادة،ط.لثانية ، 1406،ؤسسة الرسالة – بيروت.

– زاد المعاد :ابن القيم الجوزية ط3 المطبعة العصرية 1392 هـ 1973 م.

– سنن النسائي الكبرى: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي،تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري , سيد كسروي حسن،ط.لأولى ، 1411 – 1991،دار الكتب العلمية – بيروت.

– الشفا بتعريف حقوق المصطفى:القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي السبتي المغربي ،دار الفكر1423هـ / 2002م.

– شذرات الذهب في أخبار من ذهب:أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، بدون تاريخ.

– شعب الإيمان:أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي،تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول،ط.الأولى ، 1410،دار الكتب العلمية – بيروت.

– شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة: هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم، تحقيق : د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة – الرياض ، 1402.

– شرح السنة: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي تحقيق: شعيب الأرنؤوط–محمد زهير الشاويش ط الثانية، 1403هـ – 1983م،المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت.

– شرح مشكل الآثار: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي ،حقيق: شعيب الأرنؤوط،.الأولى – 1415 هـ، 1494 م،مؤسسة

الرسالة.

– فتح الباري شرح صحيح البخاري للامام الحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلاني ط. الثانية، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت – لبنان.

– الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية:عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور،

ط. الثانية ، 1977، دار الآفاق الجديدة – بيروت.

– الفلك الدائر على المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الأثير ،تحقيق:محمد باسل عيون السود،منشورات علي بيضون،دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

– فن البديع:الدكتور عبد القادر حسين دار الشروق.
– الفوائد لغياثية في علوم البلاغة:العلامة عضد الدين الايجي ،دراسة وتحقيق وتعليق:عاشق حسين،دار الكتاب المصري القاهرة،دار الكتاب اللبناني بيروت.
– في البلاغة العربية:د.محمود حسن أحمد المراغي دار العلوم العربية بيروت لينان.
– في شرعية الاختلاف :علي أومليل، ، . ط3 دار الأمان . الرباط . 2001.
– قواطع الأدلة في الأصول:أبوالمظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعانى ، دار الكتب العلمية . بيروت.
– الكناية والتعريض:أبو منصور الثعالبي، تحقيق:أسامة البحيري،ط.1417،1-1997مكتبة الخانجي القاهرة.
– مجمع الأمثال: أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد،ط.الأولى ، 1998،دار الكتب العلمية – بيروت.
– المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: أبو الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الموصلي،تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية – بيروت ، 1995.
– المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الأثير تحقيق ودراسة،د فتحي أحمد عليّ الدين،جامعة ام القرى مكة المكرمة 1420.
– معرفة السنن والآثار: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي تحقيق:المعطي أمين قلعجي ط.لأولى، 1412هـ – 1991م،جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي – باكستان)، دار قتيبة (دمشق –بيروت)، دار الوعي (حلب – دمشق)، دار الوفاء لمنصورة – القاهرة.
– مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني،مؤسسة قرطبة – القاهرة.
– المزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي،تحقيق : فؤاد علي منصور،ط.الأولى ، 1998 ،دار الكتب العلمية – بيروت.
– مفتاح العلو:السكاكين دار الكتب العلمية.
– المصباح في المعاني والبيان والبديع:بدر الدين بن مالك ،حققه وشرحه ووضع فهارسه دكتور حنى عبد الجليل يوسف،مكتبة الآداب ومطبعتها بالحماميز.
– ميزان الاعتدال في نقد الرجال تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ، تحقيق :علي محمد البجاوي المجلد الأول دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت – لبنان.
–موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي ا،تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم،تحقيق: د. علي دحروج،نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي،الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني،ط.الأولى – 1996م.،مكتبة لبنان ناشرون – بيروت
– نثر الدر : أبو سعد منصور بن الحسين الآبي ،حقيق : خالد عبد الغني محفوظ،دار المعرفة – بيروت.
– وشي الربيع بأدوات البديع في ضوء لأساليب العربية:د. عائشة فريد ،دار قباء للطباعةوالنشر والتوزيع القاهرة.
– الوفا بتعريف فضائل المصطفى: ابن الجوزي،ار المعرفة.